## الفصل الثامن

# إجابة الدعاء

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٦). وقال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠). وقال رسول الله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله». وقال رسول الله ﷺ «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»(١).

### الأنبياء وإجابة الدعاء:

لقد دعا نوح ربه عز وجل فاستجاب الله دعاءه قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنبياء: ٧٦).

ولما أراد قوم ابراهيم أن يحرقوه بالنار لجأ إلى العزيز الغفار واستجار به من كيد الكفار فأوحى الله جل جلاله إلى النار ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩)

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢١٣٩)، وأحمد (٥/ ٢٧٧) وصححه الألباني. «كيف يرد الدعاء القضاء؟ اعلم أن القضاء نوعان: قضاء مبرم في اللوح المحفوظ لا يعلمه إلا الله وقضاء معلق في الصحف التي بأيدي الملائكة، فالذي يرد هو القضاء المعلق فإذا رد القضاء المعلق وافق ما ثبت في اللوح المحفوظ لأن المعلق قد يزداد فيه وقد ينقص أما المبرم فلا قال الله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد: ٣٩)»

وسأل إبراهيم بربه جل وعلا أن يرزقه بالولد فاستجاب الله دعاءه وأعطاه إسماعيل وإسحاق وبشره بعد إسحاق بيعقوب بل وجعل النبوة في ذريته وبقيت ذريته متصلة إلى يوم القيامة حيث إن المهدي يكون من نسل رسول الله ﷺ ومحمد ﷺ من نسل إبراهيم عليه السلام فأجاب الله دعاءه وبشره بغلام حليم قال ربنا العليم الحكيم في كتابه الكريم عن نبيه إبراهيم ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٠-١٠١).

ولما استجاب لأمر ربه جلَّ وعلا وذهب بامرأته هاجر وولده إسماعيل إلى ذلك المكان القاحل الذي لا زرع فيه ولا شجر ولا أنس وقف الخليل ليدعو ربه سبحانه وتعالى فيجيب الله دعاءه وتكون إجابة الدعاء معجزة باقية خالدة إلى أن يشاء الله جل جلاله.

دعا إبراهيم ربه فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

فاستجاب الله دعاءه وفجر لابنه وزوجته عين زمزم وساق إليهم الناس من كل فج عميق وصار هذا المكان هو أشرف مكان وأقدس مكان على وجه الأرض تهوي إليه أفئدة المؤمنين وتهفو إليه أرواحهم، وتحلم بالرحيل إليه نفوسهم وصارت مكة بلد الله الحرام يجبي إليها من كل الثمرات فسبحان من يجيب الدعاء.

وهذا نبي الله أيوب صبر وصابرو استسلم لقضاء ربه سبحانه وتعالى فلما دعا ربه استجاب الله دعاءه وكشف ضره قال الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ

ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٤).

وذلكم هو نبي الله يونس بن متى ونع به الغم وصار في بطن الحوت في أعماق البحار والمحيطات، إلى من يلجأ؟! من الذي يدعوه؟! لجأ يونس إلى الملك جل جلاله واستغفر ودعا فكشف الله الضر، وأزال تلك الشدة قال ربنا جلا وعلا ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨).

وذلكم هو نبي الله زكريا بعدما بلغ من الكبر عتيا وشاب شعرٌ رأسه و كانت امرأته عاقرًا رغم ذلك توجه بالدعاء لرب الأرض والسماء فكشف الله ما به من ضراء وتمت عليه من ربه النعماء وقال ربنا تبارك وتعالى في سورة الأنبياء ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ (الأنبياء: ٨٩-٩٠).

وذلكم هو نبي الله سليمان بن داود دعا الله سبحانه وتعالى أن يهب له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فسخر الله له ريح تجري به حيث يشاء وسخر الله له الجن يصنعون له ما يشاء قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ (ص: ٣٥-٤٠).

وإنما أخبرنا الله بذلك وغيره في كتابه لنعلم أن الدعاء سنة الأنبياء وأن الله لا يرد من دعاه ولكن للدعاء شروط لابد أن تتحقق فيه وله أوقات يستجاب فيها وله أحوال يستجاب فيها فالدعاء له فقه عليك أن تتعلمه ليستجيب الله دعاءك[١].

**٢- المطر ينزل بالدعاء:**

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا دخل المسجد يوم جمعة من باب نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا، قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء وانتشرت ثم أمطرت، وقال فوالله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والآجام، والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال فانقطعت فخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال لا أدري[٢].

---

(1) راجع في ذلك الصفحات الأولى من «كتاب الداء والدواء» لابن القيم رحمه الله.

(2) متفق عليه وقد سبق تخريجه.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فقال: فيسقون[1]، قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله: وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس[2].

فائدة مهمة جدًا:

هذا الحديث فيه نوع من أنواع التوسل المشروع وهي ثلاثة: الأول هو التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته كما قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠)

والثاني هو التوسل إلى الله بالعمل الصالح الذي قام به الإنسان كقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٦). ذكر في الصحيحين في قصة الثلاثة الذين انطبقت الصخرة على باب الغار الذي هم فيه حيث إن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمل صالح أخلص فيه لله عز وجل، والنوع الثالث من التوسل الجائز هو المذكور في حديث العباس السابق وهو

(1) رواه البخاري برقم (١٠١٠).
(2) «فتح الباري» (٢/ ٥٧٧).

التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي، أما التوسل بذات الصالحين فهذا لا يجوز بل منه ما هو شرك بالله عز وجل.

ومثال التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي قول أبناء يعقوب له في كتاب الله الكريم ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يوسف:٩٧-٩٨). وقول عمر اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا أي بدعاء نبينا كما في حديث أنس المذكور آنفًا، وقول عمر رضي الله عنه (إنا نتوسل إليك بعم نبينا أي بدعائه لأن الذي حدث أن عمر أمره فتقدم فدعا،ولو كان التوسل بجاه النبي أو بذات النبي جائزًا لما تركه الصحابة إلى دعاء العباس.

والحاصل أن التوسل غير الجائز أنواع:

الأول: أن يدعو غير الله ويطلب منه لغوث ويكون هذا المدعو ميتًا أو غائبًا كأن يقول يا سيدي يا فلان اشف مريضي وارزقني بولد أو احمني من عدوي فهذا ونحوه شرك بالله عز وجل، وهو نفس ما فعله مشركو العرب الذين قالوا في عبادتهم لأصنامهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣).

النوع الثاني: أن يقول للميت أو الغائب ادع الله لي أو اشفع لي في كذا فهذا أيضا لا يجوز ولكن ليس شركا أكبر بل هو بدعة أو شرك أصغر.

النوع الثالث: أن يقول في دعائه أسألك يارب بفلان أوبجاهه أو غير واضحة المعنى وهذا النوع فيه خلاف بين العلماء ولكن الصحيح ما ذهب إليه أبو حنيفة وأبو

يوسف وغيرهما ورجحه شيخ الإسلام بن تيمية وغيره هو أن هذا الأمر بدعة إذا لم يرد بفعله عن النبي ﷺ [١] وصحابته الكرام.

كرامة لأنس بن مالك رضي الله عنه :

وتأمل هذه الكرامة الثابتة لأبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه عن ثابت البناني قال: جاء قيم أرض أنس فقال: عطشت أرضوك فتردى أنس ثم خرج إلى البرية ثم صلى ودعا فثارت سحابة وغشيت أرضه وأمطرت حتى ملأت صهريجه [٢]، وذلك في الصيف فأرسل بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعدُ أرضه إلا يسيرا. قال الإمام الذهبي تعقيبًا على ذلك قلت: هذه كرامة بينه ثبتت بإسنادين [٣].

وتأمل كذلك هذا الموقف البديع للقاضي المنذر بن سعيد... أصاب الناس قحط في بعض السنين فأراد القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس فصام أيام وتأهب وقيل إن عبد الرحمن الناصر هو الذي أمره بالاستسقاء للناس فلما جاءته الرسالة قال للرسول: كيف تركت الملك فقال: تركته أخشع ما يكون وأكثره دعاء وتضرعًا ففرح منذر بن سعيد بذلك وأمر غلامه بأن يحمل ما يقيهم من المطر وقال سقيتم والله إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء ثم قال لغلامه ناد في الناس بالصلاة فجاء الناس إلى محل الاستسقاء ثم خرج القاضي منذر بن سعيد راجلًا متخشعًا ثم وصل إلى المصلى وقام ليخطب والناس ينظرون إليه يسمعون ما يقول فلما

---

(١) «فتح المجيد» (١/ ١٨٣-١٦٦) مع الحاشية للدكتور ياسر برهامي ومن أهل العلم من عدَّ الثاني شركًا أكبر وممن قال به شيخنا مصطفى العدوي وغيره حفظ الله الجميع.

(2) الصهريج: حوض كبير للماء وجمعه صهاريج «المعجم الوجيز» (٣٧٢).

(3) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٠٠-٤٠١).

رأى الحال بكى وافتتح خطبته بقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٥٤).

ثم أعادها مرارًا فضج الناس بالبكاء والنحيب والتوبة والإنابة وقال: استغفروا ربكم وتوبوا إليه وتقربوا بالأعمال الصالحات لديه فجأروا بالدعاء والتضرع وخطب فأبلغ فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم[(١)].

**٣- سعيد بن زيد ودعاء مستجاب:**

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأبوه هو زيد بن عمر بن نفيل أحد الحنفاء الذين عبدوا الله على دين إبراهيم قبل بعثة النبي ﷺ، روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن أروى بنت أويس خاصمته في بعض داره فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبرًا من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرضين يوم القيامة». اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها قال: فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها فكان قبرها[(٢)]. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه منقبة له وقبول دعائه وجواز الدعاء على الظالم ومستذل أهل الفضل[(٣)].

---

(١) «سير الأعلام النبلاء» (٦/ ١٧٦)، «والبداية والنهاية» (١١/ ٢٨٩).

(2) رواه مسلم برقم (١٦١٠).

(3) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٥٦).

### ٤- سعد بن أبي وقاص سلاحه بالدعاء:

كان سعد رضي الله عنه مستجاب الدعوة بينه وبين ربه تبارك وتعالى اتصال دائم حتى اشتهر ذلك في الناس وكانوا يخافون أن يدعو سعد عليهم لعلمهم أن دعوته مستجابة.

عن سعيد بن المسيب قال: كنت جالسًا مع سعد فجاء رجل يقال له الحارث بن برصاء وهو في السوق، فقال له يا أبا إسحاق، إني كنت آنفًا عند مروان فسمعته يقول: إن هذا المال مالنا نعطيه من شئنا، قال: فرفع سعد يده وقال: أفأدعو؟ فوثب مروان وهو على سريره فاعتنقه وقال: أنشدك بالله يا أبا إسحاق ألا تدعو فإنما هو مال الله[1].

وتأمل أخي هذا الحديث الآتي فإن فيه معان بديعة وغزيرة في الصحيحين عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي: فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق، أما أنا فوالله إني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكني أبا سعدة قال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره

---

(١) رواه الحاكم وقال شيخنا العدوي في «الصحيح المسند»: إسناد صحيح.

وعرضه للفتن، وكان بعد قد سقط حاجاه علي عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن[(١)].

قال الحافظ ابن حجر عليه رَحِمَهُ اللَّهُ: لعله أراد الشفقة عليه بأن عجل له العقوبة في الدنيا فانتصر سعد لنفسه وراعى حال من ظلمه لما كان فيه من وفور الديانة و يقال إنه إنما دعا عليه لكونه انتهك حرمة من صحب صاحب الشريعة، وكأنه انتصر لصاحب الشريعة وفيه جواز الدعاء على الظالم المعين بما يستلزم النقض في دينه وليس هو من وقوع المعصية ولكن من حيث إنه يؤدي نكاية الظالم وعقوبته ومن هذا القبيل طلب الشهادة وإن كانت تستلزم ظهور الكافر على المسلم ومن الأولى قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (يونس: ٨٨)[(٢)].

**٥- أم المؤمنين زينب قمة في الزهد:**

كثير من الناس إذا دعا فإنما يدعو بطلب الزيادة من الدنيا، ولو فقه حقا لكان أكثر دعائه للآخرة مهما عظمت فهي زائلة فانية لذلك رأينا هذا الطراز الفريد والجيل الجليل الذي رباه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا هم أعلم الناس وأعبد الناس لله رأينا منهم زهدًا في الدنيا ورغبة عظيمة في الآخرة.

وخذ إليك هذا المثال الرائع الذي ينبض بالإيمان ويتألق باليقين، ها هي أم من أمهات المؤمنين تعلمنا هذا الدرس فعن برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلي زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالذي لها، فلما أدخل عليها

---

(1) رواه البخاري برقم (٧٥٥) ومسلم مختصرًا برقم (٤٥٣).

(2) «فتح الباري» (٢/ ٢٨٢).

قالت: غفر الله لعمر غيري من أخواتي كان أقوي على قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله واستترت منه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبًا فقالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي إلى آل فلان آل فلان من أيتامها، وأخذت تفرقه في ذوي رحمها فقسمته حتى بقيت منه بقية، فقالت لها برزة: غفر الله لكِ لقد كان لنا في هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب، فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهمًا ثم رفعت يديها إلى السماء وقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر من بعد عامي هذا، قال: فماتت[1]، أي: قبل أن يدركها عطاء عمر في العام المقبل.

**٦- دعوة مستجابة لأم سلمة رضي الله عنها:**

روي مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها»

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: أرسل إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور، فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»[2].

---

(1) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٩)، «وسير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٢).

(2) رواه مسلم برقم (٩١٨).

### ٧- تقي خفي مجاب الدعوة:

قال محمد بن المنكدر: إني لفي ليلة في المسجد أدعو الله تعالى، فإذا أنا بإنسان عند اسطوانة مقنع رأسه فسمعته يقول: أي رب، إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني مقسم عليك يارب إلا سقيتهم قال: فما كان إلا ساعة حتى جاءت سحابة قد أقبلت، وكان عزيزًا عليَّ أن يخفي عليَّ أحدٌ من أهل المدينة ولا أعرفه.

فلما سلم الإمام تقنع، وانصرف. فتبعته حتى دخل دار أنس بن مالك قال: فرجعت فلما أصبحت أتيته، فإذا أنا أسمع نجرًا - يعنى أعمال نجارة- في بيته.

فسلمت فقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحًا يعملها، فقلتُ: كيف أصبحت أصلحك الله؟

قال: فأعظمها مني فلما رأيت ذلك قلت: أخي، سمعت إقسامك البارحة على الله عَزَّ وَجَلَّ.

يا أخي، هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريدُ من أمر الآخرة؟

قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتني تشهرني للناس.

فقلت: إني أحب أن ألقاك قال: القني في المسجد فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحدٍ حتى مات الرجل[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٨٩).

### ٨- بالدعاء يرفع البلاء:

ركب عبد الملك بن حبيب السلمي البحر مع جماعة من الناس قاصدين الأندلس فاشتدت الأمواج واضطربت قالوا: فأيقنا بالعطب، ورأينا الغرق قريب والموت يلاحقنا، فإذا بعبد الملك ابن حبيب يتعلق بحبال السفينة ويدعو الله ويقول: اللهم إن كنت تعلم أني أردت بما ابتغيت به وجهك وما عندك فخلصنا برحمتك، وأغث من هذا الكرب عبادك. قال: فما كان إلا يسيرًا حتى سكنت الأمواج ووصلنا سالمين بحمد الله تعالى[1].

وعن عبيد الله بن أبي جعفر المصري قال: إن رجلًا أصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم فبينا هو ليلة ساهر، إذ دعا فقال: اللهم إني عبدك ولك أصلي، فاجعل الشفاء في جسدي، واليقين في قلبي والنور في بصري والشكر في صدري، وذكرك بالليل والنهار في لساني أبدًا ما أبقيتني، وارزقني منك رزقًا غير ممنوع ولا محظور فلما انتهى من دعائه برأ بإذن الله[2].

ذهب رجل إلى الإمام أحمد ليدعو لأمه المقعدة، وكانت أم هذا الرجل مقعدة منذ عشرين سنة فقالت لابنها: اذهب لأحمد بن حنبل يدعو الله لي قال: فذهبت ووقفت على بابه فقال: من هذا؟ قلت: رجل من ذلك الجانب سألتني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها قال: فسمعت كلامه كلام رجل مغضب وقال: نحن أحوج إلى

---

(1) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٣/ ٣٤).

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في «اليقين» رقم (٢٧) وقال الشيخ مجدي السيد: سنده صحيح.

أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفًا فخرجت عجوزٌ من داره وقالت: أنت الذي كلمته؟ قلت: نعم قالت: قد تركته يدعو الله لها.

قال: فجئت من فوري فدققت الباب فخرجت على رجليها تمشي وقالت قد وهب الله لي العافية[1].

وسمعت الشيخ وحيد بالي حفظه الله تعالى يقول: إن دولة جزر القمر كان بها قرية يحدث بها بركان كل عشر سنوات.

وفي يوم من الأيام وذلك في أواخر سنة ١٩٩١ شعر أهلها باهتزازات في القشرة الأرضية فجاءت أجهزة الإنذار وسجلت أن هناك انصداعًا قريبًا سيحدث في القشرة الأرضية وجاءت بعثة كبيرة من فرنسا وجاءت الصحف والكاميرات لاستكشاف هذه الكارثة التي ستقع بهذه القرية وبعد البحث والفحص والدراسة والتنقيب قرر رئيس البعثة وكان مشركًا كافرًا بالله تعالى: قرر أن البركان سينفجر بعد أيام وحدد لحظة الانفجار باليوم بل الساعة بل الدقيقة وجعلت الكاميرات والصحفيون يستعدون ويتأهبون لتسجيل لحظة انفجار هذا البركان.

وأمر رئيس البعثة بإخراج أهل هذه القرية سريعا قبل حدوث الانفجار. ولكنه سمع شيئًا في هذه القرية اندهش له. إنه سمع أصواتًا عالية تنبعث من هذه القرية، تنبعث هذه الأصوات بطريقة جماعية فسأل هذا الخبير الفرنسي: ما هذه الأصوات؟ قالوا: إنهم أناس من المسلمين يزعمون أن ربهم قادر على منع البركان من الانفجار لذلك فهم يدعونه ويصلون لذلك فهم يدعونه ويصلون له ليكشف عنهم هذا البلاء

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٨٦).

فقال الرجل: مجانين!! ما هذا الخبل؟! إن البركان سينفجر حتمًا ولابد ولن يمنعه شيءٌ من الانفجار كل الأجهزة تؤكد ذلك. أريد هؤلاء الناس لأتكلم معهم فلما جاءوا يكلمونه قال لهم: إن كل البراهين العلمية تؤكد أنه لابد أن ينفجر البركان ولن يؤخره شيءٌ قالوا: كل شيءٍ في هذا الكون من خلق الله ولا يقع فيه شيءٍ إلا بإذنه وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر على أن يمنع هذا البركان من الانفجار، ونحن لا نشك في ذلك ذرة ولكن إذا قبل دعاؤنا وأخلصنا في الدعاء فإن ربنا سبحانه سيكشف عنا هذا البلاء!!

فتعجب الرجل من هذا اليقين العجيب وقال: إن البركان سينفجر ولا بد وأنا أنصحكم بالخروج من البلد قبل الانفجار واذهبوا لو تأخر البركان عن ميعاد انفجاره دقيقة واحدة لآمنت بهذا الإله الذي تعبدونه.

وبدأ الجميع في انتظار هذا الحدث المدهش الهائل كانوا قد حددوا ميعاد الانفجار بعد ثلاثة أيام وبدأ العد التنازلي للانفجار مضي يوم وبقي يومان، مضي يومان وبقي يوم.. ما بقي إلا نصف يوم، ما بقي إلا ست ساعات، ما بقي إلا ثلاث ساعات ما بقي إلا ساعة ونصف، ما بقي إلا نصف ساعة، وصار كل الناس يراقب بإهتمام شديد، يا تري ما الذي سيحدث؟ ما بقي إلا عشر دقائق فقط، وشخصت العيون، أرهفت الأسماع، وارتعدت القلوب، وتحيرت الأنفاس وعمَّ السكون. ها هو الانفجار سيدوي بعد خمس دقائق فقط، كل الناس ينظرون، يراقبون، مضت الخمس دقائق، وجاءت ساعة الصفر هل سينفجر البركان الآن؟ العيون شاخصة والنفوس منتظرة وفجأة نظر الجميع فلم ينفجر البركان مضت ساعة الصفر، ومضت ساعات ويوم ويومان ولم ينفجر البركان ومضت بعد ذلك أيام وهدأت القشرة الأرضية ولم يبق بها

أي اهتزازات. وعندئذٍ جاء هذا العالم الفرنسي إلى المسلمين وقال لهم: أشهد أن إلهكم حق، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله[1].

إننا لا ننكر الأسباب، ولا نكذب بمعطيات العلم الحديث ولكن اليقين في أن الله على كل شيءٍ قدير وأن قدرة الله لا يحدها شيء ينبغي أن تمتلىء به قلوبنا، وأن يحكم هذا الاعتقاد تصرفاتنا وسلوكياتنا وهذا هو أهم ما يقتضيه الإيمان، وإلا فما فائدة أن يردد المرء بلسانه ليل ونهار.

إن الله على كل شيءٍ قدير ثم هو بعد ذلك يتصرف تصرفات توحي بأنه يشك في هذه القاعدة، ويتردد في بعض المواقف فأين الإيمان إذًا؟! إن المواقف هي التي تفجر الإيمان وتظهر صدق صاحبه من كذبه، ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، ومن اعتصم بالله نجاه، ومن توكل على الله كفاه. جل الله في علاه.

**٩- اللهم لا تحيني بعده:**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في ترجمة يحيى بن عيسى بن إدريس: أبو البركات الأنباري الواعظ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه، ووعظ الناس على طريقة الصالحين، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله، وكان زاهدًا عابدًا، ورعًا، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، ورزق أولادًا صالحين، سماهم بأسماء الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر وعثمان وعلي، وحفظهم القرآن كلهم بنفسه، وختم خلق كثير القرآن على يديه، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ويقومان الليل، ولا يفطران إلا بعد العشاء.

---

(1) سمعتها من الشيخ بمدينة بلقاس منذ ما يقارب ثماني سنوات لذا كتبتها بمعناها قلت: أنظرها في كتاب «المبتكرات في الخطب والمحاضرات» (ص: ٦٠-٦١).

ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحيني بعده فماتت بعده بخمسة عشر يومًا، وكانت من الصالحات[١] رحمها الله.

**١٠- لو أقسم على الله لأبرَّه:**

قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[٢] وقال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراء بن مالك»[٣] ولذلك نقف مع هذا المعني العظيم الجليل ثلاث وقفات.

**أ- البراء بن مالك الأنصاري:**

ذلكم البطل الكمُّي الباسل أخو أنس بن مالك وأمه الرميساء بنت ملحان صاحبة المناقب العظيمة والمبشرة بالجنة وعمه أنس بن النضر الذي سوف أقف معه الوقفة الثانية. يقول الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رَحِمَهُ اللَّهُ: ظل البراء بن مالك الأنصاري يتوق إلى الشهادة التي فاتته يوم «حديقة الموت» وطفق يخوض المعارك واحدة بعد الأخرى شوقًا إلى تحقيق أمنيته الكبرى، وحنينًا إلى اللحاق بنبيه الكريم ﷺ حتى كان يوم فتح «تستر» من بلاد فارس، فقد تحصَّن الفرس في إحدى

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٢٥٥) ط. دار الحديث أقول: ولكن صيام الدهر خلاف سنة رسول الله ﷺ وخير الصيام صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وإن كان هذا قد ورد عن بعض السلف فالأكمل والأولى هو هدي رسول الله ﷺ.

(2) رواه البخاري برقم (٢٧٠٣)، مسلم برقم (١٦٧٥).

(3) رواه الترمذي، والضياء وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» برقم (٤٥٧٣).

القلاع، فحاصرهم المسلمون وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، فلما طال الحصار واشتد البلاء على الفرس جعلوا يدلون من فوق أسوار القلعة سلاسل من حديد، علقت بها كلاليب من فولاذ حُمِّيت النار حتى غدت أشد توهجًا من الجمر فكانت تنشب في أجساد المسلمين وتعلق بها، فيرفعونهم إليهم إما موتي، وإما على وشك الموت. فعلق كُلابٌ منها بأنس بن مالك أخي البراء فما إن رآه البراء حتى وثب على جدار الحصن، وأمسك بالسلسة التي تحمل أخاه، وجعل يعالج الكلاب ليخرجه من جسده، فأخذت يده تحترق وتدخن، فلم يأبه لها حتى أنقذ أخاه، وهبط إلى الأرض بعد أن صارت يده عظامًا ليس عليها لحم، وفي هذه المعركة دعا البراء بن مالك الأنصاري أن يرزقه الله الشهادة فأجاب الله دعاءه[1]. حيث اشتد القتال وجالد الأعداء، وعظم الكرب بالمسلمين فقال بعض المسلمين للبراء: يا براء أقسم على ربك فقال: أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك ﷺ فمُنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيدًا[2]. لله درُّ رجال بذلوا أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله، ولله درُّ الأتقياء الأخفياء، ولله در المخلصين المتواضعين!! فيا لله من موقف يعجز اللسان عن تصوير عظمته وجلاله. رجل يقسم على الله، فيبرُّ الله قسمه!! يا لها والله من كرامة، وخذ هذا المثل الثاني لعمِّ هذا البطل.

**ب- أنس بن النضر:**

روي الإمام البخاريُّ في صحيحه عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن الربيع- وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأبوا فأتوا النبي

(1) «صور من حياة الصحابة» (ص:٥٦-٥٧).

(2) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

ﷺ فأمر بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنيةُ الرُّبيع يا رسول الله؟! لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال: يا أنس، كتاب الله القصاص، فرضى القوم وعفوا، فقال النبي ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه[1]. تأمل كيف يقسم أنس ﷺ فيبر الله الملك العلي الأعلى قسم هذا العبد من عباده. والله إن القلب ليندهش من هذا الموقف الجليل العظيم. ولعلك تشهد أن مواقف الصحابة يلوح عليها الجلال والجمال والعظمة كيف لا وهم أكمل الخلق إيمانًا، وأعظمهم بالله يقينًا، وأصدقهم لله حبًا فرضي الله عنهم وأرضاهم، ولعلنا نذكر ونتذكر الآن موقف أنس بن النضر واستشهاده يوم أحد.

تنبيه مهمٌ جدًا. استشكل بعض الناس قسم أنس بن النضر ﷺ هنا في هذا الحديث كيف يحكم الرسول بالقصاص ثم يقسم هو ألا يقتص من أخته فكيف ذلك؟ أجاب عن هذا الحافظ ابن حجر عليه رحمه الله فقال: وأجيب بأنه أشار بذلك إلى التأكيد على النبي ﷺ في طلب الشفاعة إليهم أن يعفوا عنها، وقيل كان حلفه قبل أن يعلم أن القصاص حتمٌ فظن أنه على التخيير بينه وبين الدية أو العفو، وقيل لم يرد الإنكار المحض والرد بل قاله توقعًا ورجاء من فضل الله أن يلهم الخصوم الرضا حتى يعفو وبهذا جزم الطيبي[2].

---

(1) رواه البخاري برقم (٢٧٠٣) واللفظ له، ورواه مسلم بلفظ مختلف برقم (١٦٧٥) وقد رجح العلماء رواية البخاري لهذا الحديث وممن رجحها النووي وابن حجر وغيرهما رحم الله علماءنا.

(2) «فتح الباري» (١٢/ ٢٣٤).

### جـ- شيخ الإسلام أبو عثمان الحيرى:

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قال الحكم: وسمعتُ أبي يقول: لما قتَل أحمد بن عبد الله الخجستاني الذي استولى على البلاد الإمام حيكان بن الذهلى، أخذ أحمد بن عبد الله هذا في الظلم والعسف وأمر بحربة فركزت على الأرض، ثم جمع الأعيان وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة، فقد أحلوا دماءهم. فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فخص تاجر بدفع ثلاثين ألف درهم فلم يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى أبي عثمان الحيرى وقال: أيها الشيخ، قد حلف هذا كما بلغك.

ووالله لا أهتدي إلا إلى هذه قال: تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال: نعم ففرقها أبو عثمان على فقراء البلد وقال للتاجر: امكث عندي ومازال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح، وأذن المؤذن ثم قال لخادمه: اذهب إلى السوق، وانظر ماذا تسمع، فذهب ورجع ثم قال: لم أر شيئًا، قال اذهب مرة أخرى وظل الشيخ في مناجاته لله وجعل يقول: والله، لا أقيم الصلاة حتى تفرِّج عن المكروبين. قال فأتى خادمه يقول: وكفى الله المؤمنين القتال شُقَّ بطن أحمد بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة[1]. يا لها من قلوب موصولة بالله، يا لها من قلوب متعلقة واثقة بما عنده! وما أعظمه من يقين وإخلاص، وصدق في التوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ!! اللهم يا غني يا كريم يا ذا الفضل العظيم نسألك يا ربنا من فضلك العظيم، اللهم وهب لنا من المواقف ما ترضى بها عنا، وقوِّ الإيمان في قلوبنا، وثبت على الحق أفئدتنا.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٥).

أيها الإخوة، العاجز من عجز عن الدعاء، والمحروم من حرم التوفيق إلى التضرع بين يدي الله، فتعامل مع ربك على أنه هو الغني القوي الكريم، العليم الخبير العزيز الحكيم، وأكثر من الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة قريبة جدًا إن شاء الله ولكن ألح في الدعاء وداوم عليه لا تقطع رجاءك ولا تيأس، ولا تكف عن الدعاء حتى يستجيب ربك لك.

**١١- دعوة الأم سبيلٌ للهداية:**

سمعت أحد العلماء والدعاة يقول: كان أحد الشباب يسكن مع أمه العجوز، وكانت امرأة صالحة، أما هو فقد كان بالضد من ذلك فقد كان يقضي معظم وقته أمام جهاز الدمار وكان مغرمًا بمشاهدة الأفلام. يسهر الليالي من أجل ذلك، ولم يكن يعرف طريق المسجد ولا يذهب للصلاة قط، وكانت أمه العجوز لا تمل من نصحه ونهيه عما هو فيه. فكان يستهزئ بها ويسخر منها، وكانت الأم تتمنى له الهداية ولا تملك إلا الدعاء فظلت تقوم في جوف الليل تدعو لولدها بالهداية والصلاح ولا تنقطع عن تذكيره ونصحه، وفي ذات ليلة بينما الأم رافعة يديها إلى السماء تدعو بعد طول تهجُّد وصلاة ودموع الحزن يملأ عينيها على انحراف ولدها بينما هي كذلك إذ سمعت صوتًا يقطع سكوت الليل، سمعت صوتًا غريبًا شديدًا مدهشًا فزعت الأم وانطلقت بسرعة تجاه الصوت وكانت المفاجأة!! رأت ولدها قد أمسك مسحاة بيده وجعل يحطم بها ذلك الجهاز المدمِّر الذي طالما عكف عليه وأشغله عن طاعة الله وطاعة أمه، ثم أكب الولد على رأس أمه يقبلها ويضمها إلى صدره وهي مندهشة ودموع الفرح على

خديها ولكن لا تعجبوا من هذه الهداية، لا تعجبوا فما هي إلا إجابة الدعاء، سلاح المؤمن الاعتصام بالله، والإلحاح على الله والقُرب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[١].

لماذا يحرم بعض الناس إجابة دعائهم؟ كثيرٌ من الناس يشكون أنه يدعو أحدهم ولا يستجاب له وما علم أن سبب ذلك منه هو إذا إن هناك أسبابًا تمنع إجابة الدعاء ولا بد من التخلص منها أولًا قبل الدعاء. ومن هذه الأسباب:

١- أكل الحرام كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١)

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثم ذكر الرجلَ يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[٢].

٢- استيلاء الغفلة والشهوات على القلوب هذا يمنع إجابة الدعاء لحديث: «واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ»[٣].

٣- رين الذنوب على القلوب وكثرتها فهذا مما يمنع إجابة الدعاء خرج بنو إسرائيل مخرجًا، فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد

---

(١) «دمعة تائب» محاضرة مسجلة للشيخ إبراهيم الدويش.

(2) رواه مسلم برقم (١٠١٥).

(3) رواه الترمذي (٣٤٨٨).

بأبدانٍ نجسة، وترفعون إليَّ أكفًا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم؟ ولن تزدادوا مني إلا بُعدًا»[١].

٤- الاستعجال والدعاء بإثم أو قطيعة رحم كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل» قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجابُ لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[٢].

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في الحديث «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يعمكم بعقاب منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

فهذه من أسباب منع إجابة الدعاء وقد يكون المنع فيه حكمة لا يعلمها إلا الله قد يكون في المنع خير لا يعلمه العبد يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: نزلتُ في الشدة وأكثرت الدعاء أطلب الفرج والراحة، وتأخرت الإجابة فانزعجت النفس وقلقت فصحت بها: ويلك تأملي أمرك، أمملوكة أنت أم حرة مالكة؟ أمدَّبرة أنت أم مدبِّرة؟ أما علمت أن الدنيا دار ابتلاء واختبار فإذا طلبت أغراضك ولم تصري على مرادك فأين الابتلاء؟ وهل الابتلاء إلا ضد الأغراض وعكس المناصد؟! فافهمي معني التكليف وقد هان عليك ما عز وسهل عليك بعض السكون.

---

(١) رواه أبو داود في «الزهد» (١٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٥)، وحسنه محقق «الداء والدواء» بإشراف الشيخ مصطفي العدوي.

(2) رواه مسلم برقم (٢٠٩٦).

فقلت لها: وعندي جواب ثانٍ وهو أنك تقتضين الحق بأغراضك ولا تقتضين نفسك بالجواب له. وهذا عين الجهل وإنما كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأنك مملوكة والمملوك العاقل يطالب نفسه بأداء حق المالك، ويعلم أنه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى. فسكنت أكثر من ذلك السكون فقلت لها: وعندي جوابٌ ثالث وهو أنك قد استبطأتِ الإجابة وأنت سددت طرقها بالمعاصي، فلو قد فتحت الطريق أسرعت كأنك ما علمت أن سبب الراحة التقوى أو ما سمعت قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

أو ما فهمت أن العكس بالعكس؟ آهٍ من سكر غفلة صار أقوى من كل سكر في وجه مياه المراد يمنعها من الوصول إلى زرع الأماني، فعرفت النفس أن هذا حق فاطمأنت فقلت: وعندي جوابٌ رابع وهو أنك تطلبين ما لا تعلمين عاقبته وربما كان فيه ضررك فمثلك طفل محموم ويطلب الحلوى والمدبر لك أعلم بالمصالح كيف وقد قال الله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦).

فلما بان الصواب للنفس في هذه الأجربة زادت طمأنينتها فقلت لها: وعندي جوابٌ خامس وهو أن هذا المطلوب ينقص من أجرك ويحط من مرتبك، فمنع الحق لك ما هذا سبيله عطاءٌ منه لك، ولو أنت طلبت ما يصلح آخرتك كان أولى لك، فأولى لك أن تفهمي ما قد شرحت فقالت لقد سرحت في رياض ما شرحت، فَهِمْتُ إذ فَهِمْتُ[1].

يقول الإمام ابن الجوزي عليه رحمة ربنا العلي: فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه مالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٢٢٠-٢٢١).

اختبارك ليبلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس، وكل واحدة من هؤلاء تقوى الظن في فضله، وتوجب الشكر له؛ إذا أَهَّلَكَ بالبلاء للالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللجأ إليه غني كله[1].

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (١٣٧).



obeikandl.com